قال: ذكر فصلٍ جامعٍ لما يحتمل أنه من الكبائر.

(الشرح)

يعني لما ذكر هذه الكبائر بدلائلها ذكر فصلاً يجمع فيه نصوص فيها وعيد لأعمال وأمور معينة يحتمل أنها من الكبائر لأن كثير منها واضح أنه من كبائر الذنوب بل بعضها سبق أن أورده رحمه الله بجملة الكبائر التي عدها.

(المتن)

قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، متفقٌ عليه.

(الشرح)

مر معنا قاعدة في الباب أن نفي الإيمان لا يكون إلا عن ترك واجب أو فعل محرم، وقوله: «حتى يحب لأخيه»، هذا القدر الذي هو واجب من واجبات الدين أمرٌ متعلق بالقلب يحب لأخيه، يعني في قلبه بمعنىٰ أن يكون قلبك نقيًا اتجاه إخوانك، لا غل، ولا حقد، ولا حسد، ولا بطانة سوء، وإنما هو قلبٌ نظيف تحب لهم من الخير ما تحب لنفسك، فهذا قدر في الإيمان واجب، وهو يتعلق بالقلب حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لم يطلب منك هنا أن تقاسمه مالك، أو أن تعطيه مالك وإنما المطلوب منك أن يكون قلبك محبًا الخير لإخوانك مثل ما تحب لنفسك وإذا وجدت هذه الخصلة يحب المسلم الخير لإخوانه مثل ما يحب لنفسه تطرد عنه الحسد، وتطرد عنه الغل، وتطرد عنه أمراض كثيرة من أمراض القلوب، وإذا فرط الإنسان الخصلة الواجبة من خصال الدين دخل عليه من أمراض القلوب الشيء الكثير.

(المتن)

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه والناس أجمعين»، صحيح.

وقال: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به»، إسناده صحيح.

(الشرح)

هذا يصحح إسناده الذهبي وكذلك النووي رحمه الله في الأربعين وحسن إسناده، وبعض العلماء ومنه ابن رجب يضعف إسناده ويذكر فيه علل وبعضهم يحسنه بما له من الشواهد، والمعنى تدل عليه النصوص، ابن رجب رحمه الله لما ضعف إسناده في جامع العلوم والحكم، قال: لكن معناه حق، دل عليه القرآن والسنة.

(المتن)

وقال ﷺ: «والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه».

(الشرح)

سبق أن مر معنا.

(المتن)

وقال ﷺ: «من رأي منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، رواه مسلم.

وفي حديث لمسلم في الظلمة: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»، وفيه دليلٌ على أن من لم ينكر المعاصي بقلبه ولا يود زوالها فإنه عديم الإيمان من الجهاد بالقلب التوجه إلى الله تعالى في أن يمحق الله الباطل وأهله، أو أن يصلحهم.

(الشرح)

قوله في الحديث: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»، أي أن هذا هو القدر الذي يوجد في العبد مما يسمى إيمانًا، إما أن ينكر بيده أ ينكر بلسانه أو ينكر بقلبه وهذا أضعف قدرٍ يمكن أن يوجد في القلب ويسمى إيمانًا، فإذا انتفى هذا القدر في منكر معين أو في بعض المنكرات لا يدل على انتفاء الإيمان وأن الشخص عديم الإيمان، وإنما يدل على أن أقل قدر من مسمى الإيمان في هذا الباب لم يكن عنده، وإلا من المعلوم أن الذي يعمل المعصية كشرب الخمر أو غيره يعمله وهو محب لهذه العصية مقبل عليها ليس في قلبه كراهية لها، ولا يكون بذلك كافرًا عديم الإيمان، ولهذا بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمان أن

معنى قولـه: «ليس وراءه ذلـك من الإيمان حبـة خردل»، أي أن هـذا أقل قدر في هذا الباب يسمى إيمانًا فليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، يعني ليس وراء ذلك شيء يسمى إيمان.

(المتن)

وقال النبي ﷺ: «إنه يســتعمل عليكم أمراء فســقه تعرفون وتنكرون فمن كره فقد برأ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع قيل أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما أقام فيكم الصلاة»، رواه مسلم.

(الشرح)

هذا مر معنا في الباب عند المصنف.

(المتن)

قد مر النبي ﷺ فبقبرين يعذبان فقال: «إنهما ليعذبان ولا يعذبان في كبير، بلى إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه»، وفي لفظ: «لا يستتر من بوله وأما الآخر كان يمشى بالنميمة».

(الشرح)

كذلك مر.

(المتن)

ومن حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «قال من أعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع»، صحيح.

وقال: «المكر والخديعة في النار»، إسناده قوي.

(الشرح)

هذا والذي قبله مر في الخصومة الأول مر بلفظه وهذا في معنى الباب.

(المتن)

وقال: «لعن الله المُحِلل والمُحَلل له»، جاء ذلك من وجهين جيدين.

(الشرح)

وقد عده المصنف رحمه الله كبيرةً كما سبق.

(المتن)

وعنه ﷺ: «من خبب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا»، رواه أبو داوود.

(الشرح)

هـذا من الكبـائر أن يخبب المرأة على زوجها أو أن يخبب العبد المملوك على مواليه، فهذا من الكبائر والتخبيب الإفسـاد، يعني امرأة بينها وبين زوجها عشرة ومحبة وألفة فيخببها على زوجها يفسـدها على زوجها، مثل أن يعيب زوجها ويذمه ويقول: تجدين عندي ما لا تجدين عنده، وسـترين عندي كذا حتى تطلب منه الانفصـال والطلاق لتكون عند هذا الآخر فهذا التخبيب من الكبائر.

(المتن)

وقال ﷺ: «الحياء والعي شـعبتان من الإيمان والبذاء والجفاء شـعبتان من النفاق»، هذا صحيح.

وقال ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار».

(الشرح)

مر معنا هذا، قال رواه هشـيم عن منصـور ابن زادان عن الحسـن عن أبي بكرة ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ وكلاهما صحيح.

وقال ﷺ: «من مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتةٌ جاهلية»، إسناده صحيح.

وقال سـليمان بن موسـى حدثنا وقاس بن ربيعة عن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل لمسـلم أكلة أطعمه الله بها أكلة من نار يوم القيامة، ومن أقام بمسـلم مقام سـمعه أقامه الله يوم القيامة مقام رياء وسمعه، ومن اكتسى بمسلم ثوبًا كساه الله ثوبًا من نار يوم القيامة»، صححه الحاكم.

(الشرح)

وهـذا أيضًــا من الكبائر، يعني أن يكون أكله أو تحصــيله للمال بإضراره بالآخرين من إخوانه المســلمين، كأن يلحق بمســلم أذىً يســمع به، أو نحو ذلك ليأكل مالاً بالباطل قال: «كساه ثوبًا من نار يوم القيامة».

(المتن)

وصــح من حديث أبي خراش الســلمي أن ســمع رســول الله ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه».

(الشرح)

وهذا فيه التحذير من التهاجر بين المسلمين والتدابر وأن هذا يتنافىٰ مع الإخوة الإيمانية كما قالﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

(المتن)

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قــال: «من حالت شــفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره»، إسناده جيد.

(الشرح)

من شفع ليمنع حد من حدود الله فقد ارتكب أمرًا عظيما لأنه ضاد الله في أمره.

(المتن)

وقــال النبي ﷺ: «إن الرجــل ليتكلم بالكلمة من رضــوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضــوانه إلىٰ يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من ســخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلىٰ يوم أن يلقاه»، صححه الترمذي.

(الشرح)

هذا فيه خطورة اللســان وجنايته علىٰ الإنسان وقد مر معنا أبواب عديدة هي من الكبائر التي يحصــلها الإنسان بلسانه والحديث فيه: «أن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت»، يعني من الخطورة والشرــ والضرــر يكتب الله له بها ســخطه إلىٰ يوم يلقاه، جاء في بعض الأحاديث: «لا يلقي لها بالاً».

(المتن)

وعن بريدة قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا تقولوا للمنافق يا سـيد، فإنه إن يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم ﷻ»، صحيح رواه أبو داوود.

(الشرح)

وهذا فيه النهي عن تسويد المنافق بأن يقال له يا سيد، أو كذلك أن يقال للكافر يا سيد.

(المتن)

وقـال النبي ﷺ: «آيـة المنـافق ثلاث إذا حدق كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»، ومتفقٌ عليه.

(الشرح)

تكرر معنا الحديث لكن ينبه المصنف هنا.

(المتن)

قال: فأما الكذب والخيانة فقد مرا، وأما خلف الوعد فهو المقصود بالذكر هنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[التوبة: ٧٥-٧٧]^.

(الشرح)

هـذا خلف وعـدٍ يعني عـاهـدوا الله ﷻ إن أتـاهم المـال أن يتصـــدقوا وأن يكونوا من الصالحين، فاخلفوا هذا الوعد، فهذا من الكبائر.

(المتن)

وعن زيد بن أرقم مرفوعا قال: «من لم يأخذ من شـاربه فليس منا»، صـحـحه الترمذي وغيره.

(الشرح)

«من لم يأخذ من شــاربه فليس منا»، يعني من الفطرة من سـنن الفطرة قص الشــارب وإعفاء اللحية، فمن لم يأخذ من شاربه ليس منا، وهذا يدل على أنه كبيرة والفطرة قد تنتكس في بعض الناس فيرسـل الشارب ويحلق اللحية، مع أن الفطرة هو العكس أن يقص الشارب ويرسـل اللحية، ولكن بعضـهم يعكس الفطرة، حتى أني أذكر قبل سـنوات طويلة وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كتب ردًا حول هذا الأمر، عُقِدة مسابقة عالمية أطول شارب في العالم، فاز بالمسـابقة رجل صـورت صـورة في الصـحف وكان الشيخ رحمة الله عليه أنكر إيراد الخبر في الصحف عندنا، وقال: هذا عمل باطل ومخالف للفطرة، ولا يذكر وكبت كتابة عظيمة وبين الحكم ومخالفة وما فيه من انتكاس، فكانت له صـورة بشـعة جدًا، يعني شـاربه طويـل نـازل يعني كـل فمه ما تراه، يعني فمه ما تراه من شــاربه وكثافة الشــارب واللحية محلوقة منظر بغيض جدًا، وهنا لما يخالف الإنســان الفطرة ويطيل الشــارب ويترك الشــارب على كثافته، هذا فيه أنواع من الأذى له للآخرين، أما له في قضـية الطعام يؤذي نفسـه أذىً شـديدًا عندما يتناول الطعام، وأن أتصـور لو أراد أن يشرـب إدام بالملعقة فهو يحتاج إلى يده اليمين حتى يرفع بها الإدام ويده اليســار حتى يرفع بها الشــارب، حتى يدخل مدخل، فيده اليســار يرفع بها شرابه عن فمه ويده اليمين يرفع بها الطعام حتى يدخل بها الإدام هذه أذية لنفسـه، وكذلـك عندما ينظف أنفه هذا أيضًا يؤذي نفسه، أما إذا قبل طفله الصغير على وجه المداعبة فهذه كارثة وطفله الصـغير سيقول: ليست الله أراحنا من هذه القبلة، أذية يعني أذية شـديدة لو أن جاء وقبل الطفل يداعبه رحمة بالصـغير وقبله ثم آذاه بهذا الشــارب الكثيف المغطي للفم وأظن أيضًا لا يتمكن من قبلة الصغير إلا بأن يأتي بيده وينهض بها الشنب حتى يبرز فمـه، ويتمكن من التقبيل، فأذية والعياذ بالله وانتكاس، وهذا الحديث يقول: «ليس منا من لم يأخذ من شاربه»، يعني هذه انتكاسه في الفطرة والعياذ بالله.

(المتن)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المجوس وفروا اللحى واحفوا الشارب»، متفقٌ عليه.

وقال الحسن البصري قال عمر ﷺ: **(لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كانت جِدَةٌ فلم يحج فيضرب عليهم الجزية ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين)**، رواه سعيد ابن منصور في سننه.

(الشرح)

هذا من كان عنده قدره على الحج يعني من كانت عنده جِدَة يعني نفقه وزاد واستطاع بدنيًا على الحج ثم لم يحج فهذه كبيرة لأن المبادرة لأداء هذا الفرض مطلوب لأن الإنسان ما يدرى ما يعرض له، ولهذا قال عمر ﷺ: **(فيضرب عليهم الجزية ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين)**.

(المتن)

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ سمع النبي ﷺ: «يقول من فرق بين والدةٍ وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»، رواه أحمد والترمذي.

ويروى عن النبي ﷺ أن قال: «من فر من ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة»، في سنده مقال.

وعن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الموت فيضار في الوصية فتجلب له النار»، ثم قرأ أبو هريرة ﷺ: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[النساء: ١٢]^، الآيات، رواه أبو داوود والترمذي.

وعن عمرو بن خارجة أن النبي ﷺ خطب على ناقته، فسمعته يقول: «إن الله تعالى قد أعطى كل ذي حقه فلا وصية لوارث»، صححه الترمذي.

(الشرح)

في هذه النصوص الوعيد عن المضار بالوصية، بأن يحرم بعض الورثة أو يزيد بعض الورثة، أو يتعامل معهم بغير العدل الذي أمر الله به «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

(المتن)

وعن النبي ﷺ قال: «إن الله يبغض الفاحش البذيء».

(الشرح)

مر معنا نظيره في كتاب أو كبيرة اللعان: «ليس المؤمن بالطعان واللعان ولا الفاحش البذيء».

(المتن)

وقال ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة رجلٌ يفضي ـ إلى امرأته وتفضي ـ إليه ثم ينشر سرها»، أخرجه مسلم.

(الشرح)

وهذا من عظائم الذنوب أن يفشي ـ أحد الزوجين ما يقع بين الزوجين من الأمور الخاصة، والمعاشرات الخاصة التي بينهما.

(المتن)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأة في دبرها»، رواه أحمد وأبو داوود.

وفي لفظٍ: «لا ينظر الله إلى رجلٍ جامع امرأةً في دبرها».

وعن النبي ﷺ قال: «من أتى حائضًا أو امرأةً في دبرها أو كاهنًا فصدقه فقد كفر، أو قال: «بريء مما أنزل على محمد»، رواه أبو داوود والترمذي ليس إسناده بالقائم.

(الشرح)

هذه الأحاديث فيها أن إتيان المرأة في دبرها من كبائر الذنوب، وأن فاعل ذلك ملعون في بعض الألفاظ لا ينظر الله إليه، فإتيان المرأة يعني إتيان الزوج لزوجته في دبرها أي مكان خروج العذرة هذا من كبائر الذنوب.

(المتن)

وقال النبي ﷺ: «لو أن رجلاً اطلع بغير إذن فحذفته بحصاةٍ ففقأت عينه ما كان عليك جناح»، متفقٌ عليه.

(الشرح)

الكبيرة هنا هي الاضطلاع على عورات الناس، والنظر إلى عوراتهم من خلال ثقب، وعين من يطلع هذا الاضطلاع هدر، لأنه مرتكب جرم عظيم فذهبت عينه هدر، الأصل في عينه أنه معصومة ومحرمة لكن لما أوقع نفسه في هذا الإثم العظيم صارت عينه هدرًا، فالكبيرة هنا هي الاضطلاع على عورات الناس، وفي الحديث: «إنما جعل الاستئذان لأجل النظر».

(المتن)

وقال ﷺ: «من اضطلع في بيت قومٍ بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه»، أخرجه مسلم.

(الشرح)

وروى زياد ابن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو»، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧]^، وقد عد ابن حزم الغلو من الكبائر.

(الشرح)

الغلو من الكبائر بل هو السبب لكثير من الكبائر سبب وقوع الناس في مخالفة الدين والخروج عن هدي النبي الكريم ﷺ، وعدد من الكبائر التي أشار إليها المصنف فيما سبق هي تنجم عن الغلو وتنتج عنه.

(المتن)

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف له بالله فليرضى من لم يرضى فليس من الله في شيء»، رواه ابن ماجة.

(الشرح)

الكبيرة هنا هي ألا يرضى الإنسان بما حلف له عليه بالله ﷻ: «من لم يرضى فليس من الله في شيء»، وهذا النفي يدل على انتفاء الإيمان الواجب: «من لم يرضى فليس من الله في شيء»، لكن إذا كان الذي حلف ما معروف بالإيمان الفاجرة، ومعروف بالكذب والحلف كاذبًا وعرف عنه هذا كون الإنسان لا يرضى بذلك لتيقنه بالأمر ولمعرفته بكذب هذا الحالف، لا يشمله الحديث.

(المتن)

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة خبٌّ ولا منان ولا بخيل»، أخرجه الترمذي بسند ضعيف.

وقال النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت».

(الشرح)

الخب هو: الإنسان الذي لا يزن الأمور وإنما يقبل كل ما يقال له وكل ما يدعى إليه ولا يتحقق من صحة الأمور، فالمسلم ليس بالخب وإنما هو يتأمل إذا كان ما يدعى إليه حق وهدى قبل وإلا فإنه لا يستجيب ولا يقبل، وقوله: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»، يعني أن يضع قوت عياله ولا يبالي بالنفقة على من يعول أو على من يلزمه، ومثل هذا يكفر عن المتصوفة الذين يعطلون الأسباب، فتجده لا يطلب القوت لأولاده ولا يسعى في النفقة عليهم، معطلاً الأسباب في جلب الرزق وطلبه فهذا من الأمور العظيمة.

(المتن)

وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع».

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الحديد: ٢٤]^.

(الشرح)

«كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع»، يعني أن يكون كل ما يسمعه ينقله وإن لم يتثبت من صحته فهذا من الإثم، وبأس مطية الرجل زعمَ فالإنسان لا ينبغي أن ينقل كل الأحاديث، بل من الأحاديث نقلها يشكل خطورة على الناس، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣]^، ولهذا بعض الأمور خاصةً التي تتعلق بأمن الأمة، ومصالح الأمة العامة تناقلها بين الناس ليس من المصلحة، بل الواجب على عامة الناس أن يسألوا أهل العلم هل من المصلحة نشر هذا الخير أو ليس من المصلحة، على أنه في زماننا هذا اختلفت الأوضاع يعني الخبر كان سابقًا لا ينتشر إلا عن تناقل الناس، هذا ينقل للآخر والثاني ينقل إلى الآخر ولهذا يحتاج إلى وقت حتى ينتشر، أما الآن الخبر ينتشر بالصحيفة السيارة وينتشر في القنوات ينتشر بالإذاعات يصل إلى الآفاق بلحظة واحدة، ويبقي الحكم هو الحكم يعني الأمور التي تمس أمن الأمة، وتمس مصالح الأمة العامة نشرها لا ينبغي أن يبادر إليه إلا بعد عرض الأمر على أهل العلم للنظر في المصلحة وإذا كان قديمًا يحمل إثم نشر هذه الأخبار أفراد المسلمين بتناقلهم التدريجي لهذه الأخبار، فإن في زماننا هذا يحمل إثم هذا التناقل كله من بث الخبر في صحيفته السيارة أو بث الخبر في قناة أو بثه في الشبكة شبكة الإنترنت أو غيرها: فـ«كفي بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع»، وحتى ندرك خطورة الأمر بشكل أوضح تحديث الإنسان بما سمع لخص واحد أمامه هذا يعد إثم، فيكف بمن يحدث بما سمع في لحظة واحدة عشرات الآلاف؟ ولهذا يحدث من الأخطار والأضرار بسبب ذلك والفساد واختلال الأمن والإضرار بالناس لا حد له ولا عد فقال ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع».

(المتن)

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الحديد: ٢٤]^.

(الشرح)

البخل هنا هو الكبيرة وكذلك الأمر به، كبيرة أخرىٰ أن يكون بخيلاً يعني شـحيحًا لا ينفق مما أتاه الله أو آمرًا بالبخل.

(المتن)

وقال تعالىٰ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ١٨٠]^.

وقال تعالىٰ: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[محمد: ٣٨]^.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْـتَغْنَىٰ ❁ وَكَذَّبَ بِالْحُسْـنَىٰ ❁ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ❁ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾[الليل: ٨-١١]^.

(الشرح)

يعني إذا وقع في الهلاك.

(المتن)

قال تعالىٰ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾[الحاقة: ٢٨]^

وقال الله تعالىٰ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨]^

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]^.

قال النبي ﷺ: «اتقوا الظلم فإن ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشـح فإن الشـح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم»، أخرجه مسلم.

(الشرح)

الشح: بخل الإنسان بما أتاه الله ﷻ قال: «واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم».

(المتن)

وقال النبي: «وأي داء أدوىٰ من البخل».

(الشرح)

«وأي داء أدوىٰ من البخل»، أي أي مرضٍ أشد من البخل، الداء المرض.

(المتن)

وفي الحديث: «ثلاثٌ مهلكات شح مطاع وهوىً متبع وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه».

صحح الترمذي أن النبي ﷺ: **(لعن الجالس وسط الحلقة)**.

(الشرح)

هذا أمرٌ آخر يعني في الكبائر قال أن النبي: **(لعن الجالس وسط الحلقة)**، لكن الحديث كأن في سنده انقطاع كما هو مبين في الهامش.

(المتن)

وعن أبي هريرة ﷺ عن قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»، أخرجه أبوا داوود.

(الشرح)

الحسد كبيرة والحديث واضح في أن الحسد من كبائر الذنوب، والحاسد هو عدو نعمه الله ﷻ علىٰ عباده، والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير.

(المتن)

وقال ﷺ: «لو يعلم المار بين يدي المصلىٰ ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرًا له».

وقال ﷺ: «إذا صلىٰ أحدكم إلىٰ ما يستره من الناس فأراد أحدًا أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فإن أبىٰ فليقاتله فإنما هو شيطان» وفي لفظٍ لمسلم: «فإن أبىٰ فليقاتله فإن معه القرين».

(الشرح)

قوله: «أن يقف أربعين»، وقوله: «فإنما هو شيطان»، يدل علىٰ أن هذا الأمر ذنب عظيم ليس بالأمر الهين.

(المتن)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم».

(الشرح)

كأن المصنف يريد أن يشير هنا إلى أن من الأمور العظيمة ترك السلام الذي هو سبب المحبة بين المسلمين ومن أسباب دخول الجنة، قال: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»، فإذا هجر السلام وترك ولم يكن بين المسلمين هذا أدى إلى ضعف الإسلام وإلى ضعف أسباب دخول الجنة بينهم، لأن إذا وجد السلام وجدت المحبة، وإذا وجدت المحبة وجد التعاون على البر والتقوى، فكثر في المجتمع وسائل وأسباب دخول الجنة، وإذا هجر السلام وترك أدى به هذا الترك إلى ضعف إيمانهم، وتفكك جماعتهم واستحواذ الشيطان عليهم، فلعل المصنف رحمه الله أراد أن ينبه بذلك إلى أن ترك السلام يعد من الذنوب العظيمة.

(المتن)

هذا آخر كتاب الكبائر والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا، عصمنا الله وإياكم من الكبائر بمنه وكرمه آمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(الشرح)

ختم الإمام الذهبي رحمه الله كتاب الكبائر بهذه الدعوة التي استهل بها كتابه قال: عصمنا الله وإياكم من الكبائر أي سلمنا الله وإياكم ووقانا وإياكم منها، والعصمة من الكبائر والسلامة منها كما قدمت في أول الكتاب تتطلب من المسلم علمه بهذه الكبائر ودرايته بها، وجهل الناس بالكبائر وعدم علمهم بها، وعدم علمهم بالوعيد الذي ترتب عليها في نصوص الشرع جعل أمرها يخف عند كثير من الناس، وأصبحوا يقعون فيها ويقعون في الكثير منها، فكان من الأمور المتأكدة والمعينة والمحتاج إليها لدي الناس، العناية بمعرفة الكبائر، ثم إن هذا الأمر يتأكد في زماننا بشكل أكبر مع وجود وسائل الفساد الكثيرة

التي عمت، وطمت، وانتشرت، وأضرت بكثير من الناس، وبدأ يظهر في كثير من الناس أنواع من الفساد وأنواع من الممارسة، لأنواع من الكبائر بشكل لم يكن موجودًا قبل، فهذا حقيقة يؤكد على ضرورة اهتمام طلاب العلم والدعاة بهذه الكبائر قراءة لها ومعرفة بها، وتحذيرً للأمة منها، وحقيقة كلمة رددتها مرارًا وأرجوا أن يكون لها صدىٰ وتردد بين الإخوة الكرام أرجوا الله ﷻ أن يحقق فيها نفعًا، كلمة رددتها مرارًا.

أقول: كتاب الذهبي ينبغي أن يقرأ لو مرة، فأتمنىٰ أن هذه الكلمة يتولون الإخوة ترديدها في الناس وحتىٰ يقرأ الناس هذا الكتاب ويقفوا علىٰ هذه الكبائر بنية الاجتناب، الله ﷻ أمرنا باجتناب الكبائر الذهبي وغيره من أهل العلم نصحوا في هذا الباب وقربوا المسألة: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١]^، لك أن تقول ما تنصحه الكبائر كثيرة وهي مذكورة في القرآن الكريم ولكن العلماء بسطوا لك أو يسروا لك الوقوف علىٰ هذا الأمر في كتب خاصة تقرأها في ساعة، كتاب الذهبي إذا قرأته يعني قراءة بدون أن يكون معك واحد طويل مثلي يطول عليك هذا التطويل الذي جلس فيه أسبوع كامل، تقرأه في جلسة واحدة، وجلستي معكم في تمطيط للوقت، وإلا ما فهيا كبير فائدة لكن قراءة الكتاب نفسه والمرور علىٰ الفوائد التي فيه والنفائس هذا هو أهم ما ينبغي أن يكون فأنا أتمني وأرجوا وأؤكد أن تردد هذه الكلمة كتاب الكبائر للذهبي ينبغي أن يقرأ ولو مرة، يمر عليه المسلم، يعني تنصح قريبك، تنصح جارك تنصح يعني أهلك في البيت أنت قرأته وأهلك يقرؤونه في البيت، أيضًا أهلك ينصحون جيرانهم، وأتمنىٰ أن هذا يتردد حتىٰ تكون يعني وقوف من الناس علىٰ هذه الكبائر وكلٌ يقرأ بينه الاجتناب، والبعد عن هذه الكبائر التي حرمها الله ﷻ ونهي عباده عنها ورتب علىٰ اجتنابها الخير العميم والفضل العميم للإنسان في الدنيا والآخرة، ثم يتذكر من قرأ هذا الكتاب أن مقصود العلم العمل، وأن وقوف الإنسان علىٰ هذه الأدلة وعلىٰ هذه الحجج وعلىٰ هذه البينان حجة أما له أو عليه، ففي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «لا تزول قدم عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع»، وذكر منها: «عن علمه ماذا عمل به»، فالعلم مقصوده العمل ومن وفقه الله ﷻ للعلم النافع يسأل الله ﷻ ويلح عليه أن

ينفعه بما علمه كما كان نبينا ﷺ يقول في دعائه: «اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزدني علما»، وأتوجه إلى الله سبحانه وتعالى وأسأله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يتقبل جلوسنا هذا بقبول حسن، وأن يجعله في موازين حسناتنا يوم يلقانا، وأن يجنبنا كبائر الإثم وموجبات سخطه واليم عقابه، وأن يوفقنا لصالح الأعمال وسديد الأقوال، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح دنيانا التي فيها معاشنا، أن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا وأن يهدي بنا، وأن يهدى لنا إنه الهادي تبارك وتعالى إلى سواء السبيل وأن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا، وما أعلنا، وما أسرفنا، وما هو أعلم به منا سبحانه وتعالى وأن يغفر لنا ذنبنا كله دقه، وجله، أوله، وآخره، سره، وعلنه، إنه تبارك وتعالى غفور رحيم، وبعض العلماء الذين كتبوا في الكبائر ختموا كتاب الكبائر بالتوبة، وهذه لفتة جميلة يعني عندما يقف الإنسان على الكبائر ربما يكون غشى بعضها أو كثيرًا منها ينبه في الختام أن باب التوبة مفتوح مهما عظم الذنب ومهما بلغ الجرم والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣]^، والحمد لله أولاً وأخرًا وله الشكر ظاهرًا وباطنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و أصحابه أجمعين.

كنت طلبت من الإخوة كتابة أولاً إحضار ما يتعلق بكلام ابن القيم، فكثير من الإخوة وقفوا على الكلام لكن الذي سبق هو أحد الإخوة أعطانا المرجع لابن القيم في كتاب "مدارج السالكين"، وكنت حقيقة وددت أن تكون الورقة معي لكن نسيتها في البيت، لأقرأ علكم النص وأعطيكم الصفحة أتوقع أن بعضكم يكون ربما معه منكم من معه الورقة التي فيها كلام ابن القيم؟

فيما يجد الأخ الورقة أيضًا موضوع أخر كنت طلبت كتابة بحث من الإخوة فيما يتعلق بالكبائر وشارك من الإخوة أربعة وعشرين مشارك، اقرأ علينا يا شيخ؟

الطالب: يقول ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين الجزء الأول صحيفة ثلاثمائة واثنين وثلاثين:

وقريبٌ من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش يأكل الثرىٰ فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة وعدم المعين وعدم من ترائيه بعملها ما حملها علىٰ أن. . . . الكلام غير واضح.

الشيخ: إذًا يكفي الصفحة، المجلد والصفحة. كنت طلبت من الإخوة الكتابة في موضوع الكبائر فشارك أربع وعشرين أخ وأعد من قبل الإخوة بعض الجوائز للمشاركين فخصوا الخمس الأوائل بجائزة متميزة، وأيضا كل مشارك له جائزة لمشاركته، فأنا سأقرأ عليكم الخمس الأوائل حتىٰ يأخذون الشيء الخاص بهم من الإخوة الآن يأخذونه، وكل مشارك له أيضًا له نصيبه فيمر علىٰ الإخوة يأخذ نصيبه لمشاركته، الخمس الأوائل هم:

خالد بن محمد حمودة الجزائري، وأبوا عبد الله حسن بن محمد الجزائري، وخالد عمر العلمي، وأبو الحارث عادل العربي الجزائري، وأبوا الحارث رابح كولا الجزائري وهؤلاء الخمسة يراجعون الإخوة وكل مشارك أيضًا يراجع وكان عندي ملاحظة وأنا أقرأ الإجابات يعني المشاركين أربع وعشرين تقريبًا عشرين من الجزائر، فتكون الجزائر هي الفائزة، ما شاء الله هذا شيء يسر جدًا يدل علىٰ يعني وجود طلبة علم وإقبال علىٰ العلم والحرص عليه سرني كثيرًا، ونكتفي بهذا القدر والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.